الإعلام الجديد والحفاظ على الهوية

أ. بغامي كتيبة

د. أسماء بن تركي

جامعة محمد خيضر بسكرة

Katibabeghami@gmail.com

تاريخ الاستلام :2018/05/20؛ تاريخ القبول: 2018/07/01، تاريخ النشر:2018/07/09

ملخص

في ظل النظام العالمي الجديد، وتنامي وسائل الإعلام والاتصال الجديدة، أصبح موضوع الهوية شائكا ومعقدا نظرا لما تحمله هذه الأخيرة من خطابات وممارسات على شبكات التواصل الاجتماعي، أين يمكن للهويات أن تتشكل أو تبنى خارج حدودها المكانية، عن طريق المؤسسات المهيمنة و المشرعنة، وما تحمله من رموز وإشارات ومعاني وصور، الأمر الذي يفضي إلى التعارض بين الذات والشبكة في خضم فضاء التدفقات المختلفة لأنظمة المعلومات العالمية التي تصب في كل الاتجاهات، مما قد يطرح أزمة هوية ناجمة عن التفاعل وآليات التأثير والتأثر المتبادلة، والذي قد يخلق هوة بين الهوية الواقعية والافتراضية، لذلك أصبح من الضروري إعادة النظر في بناء الهوية وتشكلها في ظل انتشار هيمنة استخدام وسائل الإعلام الجديدة وهذا ما سنحاول الوقوف عليه في هذه الورقة.

الكلمات المفتاحية: الإعلام الجديد، الهوية ، بناء الهوية

Abstract:

In the new world the growing of new information and communication, became the subject of a thorny and complex identity because the latter of letters and practices on social networks, where identities can be formed or built outside the borders through the dominant institutions and legislators and what the symbols and signals the meanings and images, which lead to conflict between self-reliance and network in the midst of astronauts to different flows of global information systems, which pours in all directions, which poses the identity crisis resulting from the interaction and mechanisms for influencing and mutual trust which may create a gap between the real and virtual identity, so it has become necessary to reconsider the construction of shape identity in the light of the predominance of the use new media, and this is what we will try to stand in this paper .

Key words: identity, building identity, New Media.

Résumé

Dans le nouvel ordre mondial, à développer les moyens d'information et de la communication, le thème d'identité complexe et complexe en raison de supporter ces dernières lettres et pratiques aux réseaux de communication sociale, où des identités déconstruites ou d'adoption en dehors de leurs frontières spatiales, par l'intermédiaire des institutions hégémoniques et légitime et porteuses de symboles et signalisation Et signification Sour, ce qui entraîne une divergence entre l'autonomie et le Réseau au milieu d'un espace de flux de divers systèmes d'information mondiaux qui vont dans toutes les directions, ce qui pose la crise d'identité qui résultent de l'interaction et de mécanismes d'influer sur la vulnérabilité mutuelle, qui risque de créer un fossé entre l'identité réelle et Virtuelle il est devenu nécessaire de revoir à l'édification d'identité et sa formation sous la prolifération de la domination de l'utilisation des médias nouveaux c'essaierons constater dans le présent document.

Les Mots Clés: identité, l'édification d'identité, nouveau médias.

مقدمـة

ازداد الخطاب في الآونة الأخيرة حول ظاهرة العولمة والتطور التكنولوجي، الذي يعيشه العالم اليوم والتحولات الناجمة عن الاستخدام الموسع لمنظومة الانترنيت، والمنعطف الجديد لمجتمع القرن الواحد والعشرين المتعدد الأبعاد والمتشعب في شبكة العلاقات، التي فرضت التقارب والتواصل بين الأفراد والجماعات بين مختلف الثقافات وأصبح بذلك الحديث عن عولمة الثقافة، وعولمة الاقتصاد وتشكيل الأذواق وأنماط الاستهلاك ولاح في الأفق خطاب عالم جديد متأرجح بين لعبة الإغراء والإقصاء، الذات والآخر، الهوية والغيرية هيمنة وسلطة شرعية مؤسساتية، متفوق ومتخلف، منظومة قيم مقابل أخرى، نهاية العالم، صراع الحضارات للاتجاه نحو نظام الكوني أو القرية العالمية المتولدة عن زوال المكان واختصار الزمن كما يرى **ماكلوهان.**

إن حقيقة التمايز والاختلاف بين الأنا والأخر ضرورية، نظرا للاختلافات الثقافية والخصوصيات المجتمعية في تاريخها وفي منظومتها القيمية، لكن الإشكال لن يقف عند هذا المستوى من الطرح في العلاقة بين التأصيل والتقليد، وبين التشرذم بين الأنا وذاتها، والمرآة الحاملة للصور التي لطالما كانت نقاط جدل لدى الكثير من السسيولوجيين والأنثربولوجيين والفلاسفة، خاصة لما نمعن النظر ونقف عند مفهوم الهوية الذي شغل حيزا كبيرا من البحث والتمحيص، باعتباره مفترق طرق الكثير من الاختصاصات لكن توجيه الرؤية إلى الحقل الافتراضي الذي تمارسه الوسائط الجديدة، أو ما يسمى وسائل الإعلام الجديد كحقيقة، يحمل الكثير من الرموز والمعاني والإشارات والدلالات، والأذواق وأنماط الاستهلاك أين أصبح لكل إنسان موقع في هذا العالم الأثيري الذي قد يفككك ويعيد تشكيل وبناء الهويات وبالتالي قد نتساءل حول كيف يمكن للإعلام الجديد أن يحافظ على الهوية ؟

لا يمكن أن ننكر كسسيولوجيين الوظائف الايجابية للإعلام الجديد، إذ استطاع تقريب المسافات بين البشر ونقل الثقافات وتبادل الأفكار والرؤى حول قضايا عامة، ومن هنا يمكننا الحديث عن الإعلام الجديد والتساؤل عن مدى إمكانية أن يكون هذا الإعلام فضاء وحقلا

معرفيا لتجنب الاختلافات والصراعات الإيديولوجية و التقوقعات الهوياتية، والتساؤل أيضا حول العلاقة التي تربط الهوية بالآخر في ظل هذا الحقل الشبكي الافتراضي الذي فرضته العولمة ووسائل الإعلام الجديدة إذ يقول أنطوني غيذنز:"نشاهد أولا توسع الرأسمالية وعولمتها على صعيد الكرة الأرضية، ثم إن هذا التبدل يترافق مع ظهور اقتصاد المعلومات ومع الانقلابات المرتبطة بانطلاقة العلم والتكنولوجيا ونحن كسسيولوجيين نساعد في فهم المجتمعات الحديثة و نساهم في تحولاتها[1] .

و في ضوء ما تم التطرق إليه أو طرحه سلفا يمكننا الوقوف عند أهم المفاهيم التي تفرض نفسها في هذه الدراسة والمتمثلة في: الهوية، الإعلام الجديد، بناء الهوية

1- مشكلة البحث

إن التطور التقني والتكنولوجي لقنوات الاتصال ووسائل الإعلام الجديد رسم صورة لثقافة كونية، تمارس عبر مختلف أنظمة الحواسيب وتعدد التقانة والوسائط الجديدة، والأنظمة الرقمية المتجاوزة للحدود وتقليص فرض سلطة الدولة والمتجلية في الفضاءات الإلكترونية التي تعبر عن ولادة وسائل الإعلام الجديدة و ماحققه العلم من ثورات في الانفوميديا، وثورة الاتصالات و الرقمنة أين أصبح العالم يعتمد على الطاقة الجديدة المتمثلة في نظام المعلومة الذي شهد تطور ملحوظا في الوظيفة والوسيلة والأداء وفي هذا الصدد يقول عبد العزيز بومسهولي في مؤلفه: " لم يعد التصور الإيطيقي هو الذي يسير العالم، إنما هو العقل التقني الذي غدا شاملا وكونيا وشكل مرحلة نهاية الإنسان"[2]

وبقدر ما أفرزه هذا النظام لعوالم افتراضية تسبح فيها الاتصالات بين الفاعلين، من مختلف الأوساط الاجتماعية وتعدد الخدمات والتطبيقات التي توفرها للمستخدمين، التي لم تعد حقلا

[1] فليب كابان.جون فرنسوا دورتيه.علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات. ترجمة:إياس حسن.ط1. دمشق:دار الفرقد.2010. ص 168

[2] عبد الله موسى.فلسفة القيم الأصول والامتدادات .ط1. الرباط.دار الأمان. ص 106

سلبيا لتلقي المضامين فقط بل تجاوزتها إلى تبادل المعارف بين مرسل ومستقبل، وجعل كل منهما فاعل ومتفاعل يستطيع بناء صور ومعاني، ورموز، واتجاهات ورؤى وما صاحب ذلك من تغيرات وتحولات في المشهد تتجلى في وسائل الإعلام وتسارع التقنيات والوسائط في هذا الحقل.

تطرح اليوم إشكالات ابستمولوجية تدور في فلك الآفاق الحقيقية لواقع السوسيولوجيا المركب، والذي أفرزته البيئة الرقمية التي تتميز بقوة تدفق فائقة للمعلومات، وتغير في الصناعة الإعلامية وأنماط استهلاك المعلومات، فأصبح الرهان الذي تطرحه الانترنيت هو تمكينها للفاعلين من تجاوز الاكراهات وبعض القيود المتعلقة بالفضاء الواقعي، وسماحها لهم و الانعتاق من سياقات الحضور الجسدي وطقوس المكان الفعلي، وخلقها لسياقات اتصالية جديدة يمثلها الفضاء الافتراضي، والتحرر وأساليب ووسائل رقمية سرية وأسماء مستعارة تنوب عن الحضور المادي الفيزيائي للشخص، مصطنعة بذلك مجتمعات وجماعات تتواصل عبر تلك الرموز مما يخلق وينتج هويات افتراضية تصاغ حسب ما يتناسب ورغبة الفاعلين في التعدد و الانتماء الهوياتي .

و بهذا المعنى نتحدث عن وهم الهوية في صورتها المطلقة المتحررة من الحقيقة، فكل فاعل اجتماعي لا يمكن فصله وعزله عن التناهي المكاني والبيئي المتواجد فيه، إذ لا توجد هوية منعزلة ومنزوية على ذاتها إلا في حضور الآخر الذي يضمن الاعتراف بها مما يحقق انسجامها وتلاحمها.

فالهوية لا ينظر إليها على أنها خاصية منجزة، بل كل شيء غامض وهش دائما يثير التهديد بالانشطار إلى شظايا ولذلك تعذر على الباحثين إعطاء تعريف للهوية، فاختاروا الحديث عن بناء الهوية أو الاقتران بعبارة أخرى الهوية كفعل وليس كاسم، ومثلما أوضح **ستورت هول** فإن مفهوم الهوية يعمل في الفاصل بين الظهور والتحرك العكسي أي في ظل المسح أو بمعنى آخر هو عملية قيد الإمحاء **Under urasure** وهي فكرة لا يمكن التفكير بها بالطريقة

القديمة، فإنه ودون مفاتيح من هذه الطريقة القديمة لا يمكن فهمها على الإطلاق، أي لا يمكن التفكير بها على الإطلاق [3] .

إن العولمة وما تحمله من ظواهر السيولة والاستعجالية، والتسارع والآنية والتحولات التي تحملها خطابات وسائل الإعلام الجديد، يعيد النظر في العلاقة بين الزمن والمكان وبين الأنا والآخر، وبين مختلف التفاعلات التي تتم عبر هذه الوسائط أين أصبحت ظاهرة الإعلام الجديد متغيرة، ليست حكرا لخصوصية مجتمع بعينه، وإنما هي حقيقة كونية تحمل في طياتها جدلية المحلي والعالمي، الافتراضي والواقعي، الأنا والآخر وفي خضم هذه المعادلات سنحاول معالجة حيثيات الموضوع الذي يطرح التساؤلات التالية:

كيف يمكن للإعلام الجديد أن يحافظ على الهوية بغض النظر عن الاختلافات الإيديولوجية؟ هل اختزال الآخر هو ما يحقق للهوية ذاتها؟ كيف يمكن لنحن تجاوز الأحكام المسبقة؟

– أهمية وأهداف الدراسة :

أ – أهمية الدراسة:

– إبراز الدور الذي يلعبه الإعلام الجديد في الحياة اليومية للفاعلين واستخدامهم له كضرورة فرضتها العولمة.

– معرفة دور التفاعلات الإعلامية في تشكيل وتكوين جماعات وأفراد على شبكة الانترنيت.

– الإمكانية التي يتيحها الإعلام الجديد لإثارة قضايا معينة والحوار بين الأنا والآخر.

ب– أهداف الدراسة:

تتمثل أهداف الدراسة في:

[3] برتي السوتاري.النظرية الاجتماعية والواقع الإنساني.ترجمة:علي فرغلي.ط1.القاهرة. المركز القومي للترجمة.2015.ص ص 228.227

– معرفة دور الإعلام الجديد في تشكيل وبناء الهويات .

– معرفة التأثير الذي يمارسه الإعلام الجديد كفضاء مفتوح على كل الاتجاهات.

– الكشف على الدور الايجابي الذي قد يمارسه الإعلام الجديد للحفاظ على الهوية والحوار مع الآخر.

2. مفاهيم أساسية:

1.2. الإعلام الجديد: يعرف الإعلام الجديد بأنه" تلك الوسائل الحديثة للاتصال، متمثلة في الفيس بوك وتويتر ويتوب يمكن أن تكون مكملة للإعلام التقليدي، لينتج إعلام يزاوج بين المهنة وصرامة التقاليد التي نشأت عليها السلطة الرابعة، وبين التقنية الحديثة التي تتيح للإعلام التقليدي الفرصة ليكون أكثر قربا من الحدث فحسب، بل من الناس أيضا وهذا هو جوهر الموضوع" [4] .

نلاحظ أن هذا التعريف يمزج بين الإعلام التقليدي والجديد، ويرى أن الإعلام الجديد هو مكمل للإعلام التقليدي ولكنه تطور من حيث التقنيات والوسائط، ليكون قريبا من الأحداث ليؤثر في مجرياته وفي مخاطبة كل الناس أفراد وجماعات.

كما يعرف إبراهيم إسماعيل الإعلام المعاصر بأنه:"هو ذلك الإعلام الذي يقوم على استخدام التكنولوجيا الرقمية، وتطبيقات النشر والبث الالكتروني متيحا المشاركة للجميع كمتلقين للمادة الإعلامية ووسطاء لتداولها والتفاعل معها بحرية و مرونة". [5]

إن تعريف إسماعيل للإعلام المعاصر، يركز على بعض الخصائص التي قد تميز هذا الإعلام مقارنة مع الإعلام التقليدي والمتجلية في الرقمية والتكنولوجيا والتفاعلية والحرية للفاعلين والمرونة.

[4] محمد المنصور.تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع العربية أنموذجا.قسم الإعلام والاتصال.كلية الآداب والتربية.الأكاديمية العربية:الدانمرك.2012.ص69

[5] إبراهيم إسماعيل.الإعلام المعاصر وسائله ومهاراته وتأثيراته أخلاقيته.ط1.قطر: وزارة الثقافة والفنون.2014 . ص 22

هذا ويشير الإعلام الجديد "NEW MEDIA" أيضا إلى مجموعة من الأساليب والأنشطة الرقمية الجديدة، التي تمكننا من إنتاج ونشر واستهلاك المحتوى الإعلامي بمختلف أشكاله من خلال الأجهزة الإلكترونية الوسائط المختلفة أو الغير متصلة بالإنترنيت". [6]

ولقد اختلفت المفاهيم الخاصة حول الإعلام الجديد، فهناك عدة مفاهيم الإعلام البديل، الشبكي المجتمعي، المعاصر، الإلكتروني، الرقمي نظرا للخصائص التي يتسم بها من حيث السرعة والتفاعلية والمرونة والتأثير والوسائط، وكون المفهوم لا يزال في ديناميكية البناء نتيجة التطورات الفائقة على النظام الرقمي كما يقول" زيغموند[7] باومان فنحن في زمن الحداثة السائلة الزمن السائل"، أين أصبحت الصورة والرموز والمعاني والمضامين تصب في كل الاتجاهات.

2.2. الهوية:

إن مفهوم الهوية اقترن بالوجود الإنساني، و هو يشكل نقطة التقاء العديد من التخصصات الفلسفة علم النفس، علم النفس الاجتماعي، السوسيولوجي، الأنثروبولوجيا، الفلسفة، ومن هذا المنطلق لازال مفهوم الهوية يستفز الكثير من الباحثين والعقول كونها ليست نهائية، بل متجددة متفاعلة مع الزمكانية جدلية بين الأنا والآخر، وتشمل العديد من الشعوب و الإيديولوجيات والثقافات والقوميات، فهي تجمع بذلك العديد من المقاربات وسنورد بعضها:

الهوية هي:"الانتماء الذي قد يكون مرادفا لخضوع لنظام مجموع ما و التموضع ضمن هذا النظام بل والاندماج ضمن وحدة تنوع، كما التنوع ضمن وحدة نسق والاستئثار بواسطة مركز موحد لتركيب صارم هكذا تقدم الفلسفة الانتماء كرابط ضروري يربط أحد بآخر" [8].

[6] ماهر عودة الشمايلية.محمود عزت اللحام.الإعلام الرقمي الجديد.ط1.الأردن: دار الأغصان العلمي. 2015.ص 18.

[7] زيغمونت باومان.الثقافة السائلة. ترجمة: حجاج أبو جبر.ط1.بيروت: الشبكة العربية للأبحاث و النشر 2018 . ص 7.

[8] مارتن هايدغر.الفلسفة الهوية والذات.ترجمة:محمد مزيان.ط1.الرباط: دار الأمان. 2015.ص ص.33،32

ما يلاحظ أن هايدغر يعطي للهوية البعد الخاص بالاندماج والانتماء إلى نظام معين، و التموضع فيه ويعتبر الانتماء كعنصر هام يربط فردا بآخر، ووفق هذا التصور لكل فرد انتماء بوصفه عضوا في جماعة ويحتل موقعا فيها، وهذا ما سماه كلود دوبار" في كتابه أزمة الهويات الأشكال الجماعاتية للهوية بوجود جماعات تعتبر أنظمة، ومن خلالها يمكن للأشخاص أنفسهم أن يتمثلوها يمكنها حسب دوبار أن تكون للذات بمقدار ما تكون للغير[9].

كما يعرفها علماء النفس الاجتماعي: "أنها أداة تسمح في التفكير بالعلاقة بين السيكولوجي والاجتماعي عند الفرد، إنها تعبر عن محصلة مختلف التفاعلات المتبادلة بين الفرد ومحيطه الاجتماعي، القريب والبعيد والهوية الاجتماعية للفرد تتميز بمجموع انتماءاته في المنظومة الاجتماعية، كالانتماء إلى طبقة جنسية أو اجتماعية والهوية تتيح للفرد التعرف على نفسه في المنظومة الاجتماعية وتمكن المجتمع من التعرف عليه". [10]

إن ما يستوقفنا في هذا المفهوم السيكو اجتماعي، أن الهوية تنجم عن تفاعل الفرد بينه وبين بيئته عن طريق انتمائه لجماعات اجتماعية أو منظومة، وهي تمكن الفرد بالتعرف على ذاته وتعرف المجتمع عليه وبالتالي فهي تمثل للذات والمجتمع. فهي الوسطية بين هوية ذاتية تتحدد بذاتها ومتعددة كونها تحدد من الخارج أوفي إطار العلاقة التي تربطه بالآخر فهي متجددة.

كما يمكن إعطائها مفهوما في الخطابات المتداولة لها الهوية خطابا متشابكا، لأنه يتحرك في مجالات متعددة وفي المقابل يبدو التعاطي مع مسائلة الشعبة بشكل اختزالي أو محاولة تجاوزه إنما يرمي إلى القضاء على تصور معين للإنسان. هذا التصور الذي يفترض أننا لا يمكن أن

[9] كلود دوبار. أزمة الهويات تفسير تحول.ترجمة : رندة بعث. ط1.لبنان: المكتبة الشرقية.2008. ص23

[10] دنيس كوش.مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية . ترجمة: قاسم المقداد. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.2002. ص 15 .

نعرفه إطلاقا من ذاته فحسب بل من خلال مختلف علاقاته وتفاعلاته بذاته وبالآخر بالعالم والوجود والطبيعة. فهوية الكائن العميقة تتحدد داخل هذه الشبكات التحاورية[11] .

ويعد الإعلام الجديد من الفضاءات والشبكات المفتوحة على الآخر، فهو حلقة وصل بين الفاعلين الاجتماعيين من مختلف العرقيات، فالوسائط والمضامين التي تجاوزت الزمكانية تضم الأحداث الأفكار ومن هنا يلج بالفرد إلى التعرف على الآخر وبناء ثقافة حوار، ومحاولة إشراكه في بعض المعارف التي تعيد بناء بعض القيم لديه، وتسهم في تشكل هويته في هذا الصدد يرى المحيفظ" أن الهوية الحديثة هي وعي بالذات، تحدده قوى العقل المجرد والمبدع والأشكال الحديثة لتصور الحرية والكرامة والحقوق، وفي مثل التحقيق الذاتي ومتطلبات العناية والعدالة الكونية"[12].

فالهوية مفهوم مقترن بصورة الأنا عن ذاتها وعلى صورة الآخر لها، وهي متعددة وغير محدودة نظرا لأن انتماءاتها متعلق بالذات والغير وهي خاصة بالإنسان والمجتمع أيضا .

3.2.بناء الهوية:

لا يمكن تفسير الهوية إلا بالرجوع إلى الخلفية السسيوتاريخية، فالسيرورة التاريخية والتراكمات من العناصر البانية للهوية، تكون ضمن علاقة الجماعات بجماعات أخرى، متغيرة في المكان والزمان ومن مجتمع لآخر، فقد يعاد إنتاجها وهذا ما يفسر زوال بعض المعايير والعادات، بالرغم من أنها كانت مقدسة وتم تركها وكم منها لا زالت قائمة في الوعي الفردي، ولازالت تمارس سلطتها على الفعل والسلوك الاجتماعي بالرغم من أنها تقليدية على حد قول ماكس فيبر.

[11] مصطفى بن تمسك وآخرون . في التأصيل المفهومي للهوية . في كتاب ربوح البشير. السؤال عن الهوية في التأسيس والنقد والمستقبل .ط1 . الرباط: دار الأمان. 2016 . ص 26.

[12] محمد المحيفظ و آخرون. هوية الإنسان الحديث والمعاصر . في كتاب ربوح البشير .مرجع سابق.ص93.

فلا يمكن التحدث عن الهوية دون المرور بتمثلاتها وتشكلها وبناءها، فلا توجد هوية بمعزل عن الآخر إذ يرى نوربرت إلياس" أنه ليس هناك هوية لـ" الأنا " دون هوية "النحن" حيث يرى أنه لا يمكن الفصل بين الفرد والمجتمع، فلا يوجد مجتمع بلا أفراد، فهما وجهان لبنية واحدة، وكما أن العلاقة بينهما هي علاقة تأثير وتأثر، بحيث أن المجتمع يمارس تأثيره في تكوين شخصية الفرد، ولذلك يقترح هوية "نحن–أنا" لتفسير السيرورة التاريخية أو الحضارية، وذلك عن طريق رصد "توازن نحن–أنا" والتقاط تحولاتها في المراحل التاريخية كافة وكيف تغيرت "أولوية هوية الأنا على النحن[13].

هكذا يقدم نوربرت العلاقة بين الفرد والمجتمع، ويوضح التأثير المتبادل بينهما وهو يربط بين التعارض الفردي والمجتمعي، و هذا التعارض موجود في السيرورة التاريخية، وهي بذلك بناء اجتماعي وفي هذا الصدد يرى كوش" أن الهوية بناء وليست معطى، فهي ليست وهم يتعلق بمجرد ذاتية الفاعلين الاجتماعيين فتكوينها يتم داخل الأطر الاجتماعية التي تحدد موقع الفاعلين فيها، وتوجه تصوراتهم وخياراتهم ومن جانب آخر، فإن تكوين الهوية ليس وهما لأنه يتمتع بفاعلية وله آثار اجتماعية حقيقية". [14]

ومنه فإن الهوية حصيلة ديالكتيك فهي لا تنشأ من الفراغ، فهي تتكون عن طريق التنشئة الاجتماعية والاندماج الاجتماعي والتفاعل، وجرت أبحاث في نظرية الفعل الاجتماعي ومنها النتاج الفكري لجورج هربرت ميد، إذ أظهر كيف أن الشخصية تتكون بالاحتكاك مع الآخرين ومن خلالهم وبتمثل الآخرين إذ الشخصية ليست انعكاس للمحيط أو الوسط المتعلق بها، إذ هي تكيف فردي مع الوسط وإعادة البناء لهذا الوسط" [15].

3. الإعلام الجديد وتأثيره على تشكل الهوية

[13] عبد الغني عماد. سوسيولوجيا الهوية جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء. ط1 .بيروت: مركز الوحدة العربية. 2017 . ص 49.

[14] دنيس كوش. مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية . مرجع سابق. ص 98

[15] عبد الغني عماد. سوسيولوجيا الهوية جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء .مرجع سابق. ص 112.

تعد ظاهرة الإعلام الجديد منظومة اجتماعية، يتفاعل فيها المجتمع على شبكة الانترنيت، إذ برز دوره في الحياة اليومية خاصة بعد الانتشار الواسع لوسائل الانترنيت، والفضائيات والأقمار الصناعية والهواتف والشبكات العنكبوتية، بما تقدمه من خدمات في شتى المجالات السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية نظرا للتنوع والأشكال التي يقدمها عن طريق الصورة، الفيديو، الصوت وهذا عبر الوسائط المختلفة والوسائل التي تقدم كما هائلا من المعلومات وهذا حسب الاتحاد العالمي للاتصالات، وفي نهاية الربع الأول من عام 2013 أعلنت الشركة التي صممت التطبيق Whats App أن عدد الرسائل التي يتم تبادلها بواسطته تصل في بعض الأحيان إلى عشرين مليار رسالة في العالم في اليوم الواحد، وأربعة مليارات مشاهدة يوميا لمقاطع فيديو اليوتيوب، ومليار تغريده كل يوم على التوتير، خمسة عشرة مليار بوست Post وتعليق ومشاركة و إعجاب على الفيس بوك. [16]

في ضوء ما تم طرحه، فإن الإعلام الجديد هو فرصة المجتمع للانطلاق من جديد في بناء أفراد يمتلكون مستويات عالية من الديمقراطية، والمشاركة المجتمعية والمساهمة في تطويرهم ويتجلى دوره في:

- نقل الأخبار والمعلومات وربط المتابعين بالأحداث وبالعالم الخارجي، وإبقاؤهم على اتصال مستمر ومباشر بما يحدث فيه من تغيرات.
- تعليم وتزويد الأفراد بالمعلومات والبيانات التي قد تزيد من خبرته في مختلف مجالات الحياة، عن طريق التفاعل مع الأخر من مختلف الأجناس والأعراق والثقافات.
- ربط المجتمعات بالأجيال عن طريق التواصل، فنجد بعض الوسائل الإعلامية والاتصالية استطاعت أن تنقل الموروثات والتراث الخاص بالأمم والمحافظة عليه بين الأجيال، وبالتالي زيادة الصلة والعلاقات والروابط المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .
- الترفيه كعملية إنسانية والتي تمنح الراحة النفسية والعصبية.

[16] إبراهيم إسماعيل. الإعلام المعاصر وسائله ومهاراته وأخلاقيته. مرجع سابق.ص .12 .

- الرقابة وهذا عن طريق الإعلان عن بعض الأنظمة والعمليات المتعلقة بالفساد، وبالتالي تصحيح بعض المسارات كما استطاع الإعلام الكشف عن الكثير من الأنظمة الديكتاتورية والسياسية التي تمارس عبر العالم.
- قد يساهم الإعلام في صناعة الوعي اتجاه بعض القضايا السياسية، كون المضامين أصبحت تحمل صوتا وصورة، وبالتالي تنبيه وتعريف الأفراد ببعض الرؤى وتشكيل الصورة عن الأحداث التي يتم نقلها ومن هنا أمكنه تقريب الممارسات الواقعية لمختلف الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية.

و بهذا يمكن للإعلام أن يكون مصدرا هاما في تشكيل المجتمع، وتحديد هويته وخاصة في ظل التكنولوجيات المتصاعدة في مختلف أنحاء العالم، عن طريق مجالات الحوار وإبداء الرأي ومناقشة وطرح الأفكار، وتبادل الآراء إلى تنمية شعور الفرد بأهميته، وبالتالي تعزيز قيم الهوية.

وفي هذا الصدد يقول شقرة والإعلام بلا شك أحد المصادر المهمة جدا في تشكيل المجتمع وتحديد هويته، لما يملكه من نفوذ والسيطرة على عقول وثقافة أبناء المجتمع، خاصة في ظل الثورة التكنولوجية المستمرة والمتصاعدة في العالم وما صاحبها من الانفجار الشديد للمعلومات. والتي جعلت للإعلام سطوة وهيبة واضحة لم تكن من قبل، وأصبح للإعلام ركيزة أساسية في بناء الدول ورمزا مهما من رموز سيادتها الوطنية وخاصة إذا عمل بصورة متكاملة مع المؤسسات التربوية والأهلية والأسر، بحيث يحقق تنمية شعور الفرد بالانتماء إلى مجتمعه ويعزز القيم الإنسانية في الفرد والمجتمع. [17]

ويرى تيم أن التفاعل والمواقف المختلفة والانتماءات المختلفة تؤدي إلى نشوء ذوات متناقضة تتسم بالسيولة والتمزق لكنها قادرة على نماذج السيطرة والاستفادة من الآخرين[18] .

[17] علي خليل شقرة. الإعلام الجديد وشبكات التواصل الاجتماعي. ط1 . الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع. 2014. ص 21.

[18] تيم ادواردز . النظرية الثقافية. وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة. ترجمة: محمود أخمد عبد الله. ط1. القاهرة: المركز القومي للترجمة.2012.ص353

فالتفاعل حسب ادواردز سلبي، ولكنه إيجابي من حيث الاستفادة من الآخر والتي قد تكون في المجالات المعرفية، والتعرف على ثقافته وطريقة التفكير عن طريق التبادل الذي تمنحه مختلف الوسائط الإعلامية.

ومن هنا ندرك أهمية الإعلام الجديد في فتح باب الحوار والتبادل بين مختلف الهويات، والذي نجم عنه خطابات وجدليات حول الصورة بين المتلقي والمرسل "النحن" و"هم" التي شكلت حقولا جدلية تتناقض فيها الآراء حول المؤيد والمعارض، الأنا والآخر، التفكك والبناء، التأويل والتهويل التي تجسدت في النظريات ما بعد الحداثة أو المفسرة لظاهرة العولمة التي تجاوزت حدود الزمان والمكان وفي سياق التحولات في الحياة الإنسانية وبمختلف أبعادها وأثارها وتداعياتها.

وفي الحقيقة لا يمكن نفي الجانب الآخر للإعلام الجديد، وما يلحق ذلك من تأثيرات له على الذوات وتشكيل الأنماط ولقد أكد الكثير من الخبراء والدراسات، التأثير الذي قد يمارسه الإعلام الجديد على المجتمع إذ يرى شقرة " أن الكثير من القيم التي كانت تتمسك بها الأسرة والمدرسة خاصة في المجتمعات الغربية– أخذت في الاضمحلال لتحل محلها قيم مأخوذة من الإعلام ولا تستند إلى معايير أخلاقية واجتماعية، وهذه المظاهر بدأت تغزو دول العالم الثالث، بما فيها المجتمعات العربية حيث بدأ الشباب يفقد المرجعية الثقافية وأصبح أكثر تأثر بما ينقله إليه الإعلام الغربي، مما أضعف تمسكه بما يسود مجتمعاته من قيم روحية وأخلاقية وعادات وتقاليد" [19].

فحسب شقرة فإن الإعلام الجديد اخترق الكثير من القيم، التي كانت تتمسك بها المدرسة والأسرة وبالتالي خلق الكثير من التوترات واضمحلال للقيم الروحية، واستطاعت وسائله إزاحة بعض العادات والتقاليد وفككت من المعايير التي تستند إليها المجتمعات. فالتكنولوجيا الإعلامية غيرت من الصورة الثقافية بين الفاعلين، وتساهم في صناعة الوعي والزيف إذ يقول ماركوز في كتابه الإنسان ذو البعد الواحد، أن ثقافة المجتمع التكنولوجي تلعب دورا هاما في

[19] علي خليل شقرة. الإعلام الجديد وشبكات التواصل الاجتماعي. مرجع سابق. ص 26.

تزويد الفرد بضمير مرتاح وسعيد أي أحادي البعد. فمن خلال القدرة الهائلة لتكنولوجيا الاتصال الجماهيري التي أصبحت لديها القدرة على التخفيف من حدة التناقض بين الواقع الثقافي والواقع الاجتماعي، من خلال دمج قيم الأول بالثاني وإعادة توزيعها على نطاق تجاري واسع" [20].

وفي خضم ما تم طرحه فإن الإعلام له تأثيرات سلبية وإيجابيه، ومن شأنه إحداث خلل معرفي بين ما هو موروث وما يمارسه من صناعة للوعي وإعادة تشكيل الهويات عن طريق الحرية والتعدد الهوياتي، وخلق هوة بين الحقل الواقعي والافتراضي. لكن هل هذه الصورة التي تشكلت عن الإعلام نتجت عنه فعلا؟ أم أن الخلل مطروح في اختزالات إيديولوجية والأحكام المسبقة التي ترسمها مخيلة الأنا عن الآخر؟

4. الإعلام الجديد وصورة الهوية بين جدلية الأنا والآخر:

لقد استمر الصراع ولفترات طويلة حول الهوية والذات، وارتبط بالسياقات المتعلقة بالخصوصية التاريخية والثقافية والاجتماعية، والتي بدأت منذ قرون من الزمن كرستها الاختلافات الأيدلوجية والدينية والعرقية والثقافية والفكرية، أين أصبحنا في عالم تسوده الكثير من المغالطات والتشوهات، التي تنجم عن ضيق الرؤية التي ينسجها المخيال وتخزن في الذاكرة الجمعية، حوامله متعددة المشارب وسائل الإعلام الجديد والخطاب الذي كرس لصراع حضاري ليصب في بوتقة المسميات الشرق والغرب، والتي ترسخت في صور راحت ترتسمها الهوية في مخيلتها عن الآخر، مما لاشك فيه أننا نعيش اليوم في عالم تلتبس فيه الحقيقة وتتسع فيه الفجوة بين الذات والآخر في منطق الأنا.

[20] عبد الغني عماد. سوسيولوجيا الهوية جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء.مرجع سابق.ص 40.

و يشير شوقي الزين في مؤلفه قائلا" لاشك أن الذات المهيمنة والمتمركزة هي " الآخر" الامبريالي والتوسعي في منطق الأنا، الذي يبحث عن ذاته بمساءلة تاريخية وتقويم هويته، والذي اتخذ شكل البحث عن مضامين التغيير الاجتماعي ومحتويات التقدم الحضاري" [21].

وما دام الخطاب في مخيلة الأنا حول الهيمنة والسيطرة للآخر، فهذا قد يبق العلاقة بين الطرفين مشحونة بالتعصبات الفكرية البعيدة عن أي واقع، تدعمها التطرفات الدينية والإيديولوجيات وتضخمات الأنا حول ذاتها، والتي تبعد العقل في تأويلاته وتفسيراته و يرى بن غنيسة " أن العقل ينزاح من وظيفته التفكيرية إلى وظيفة تبريرية لأفكار وصور تتسم بالنمطية، التي تأسست على الحكم المسبق الذي يجعل الأنا تستند إلى هويتها كل ما من شأنه أن يسبغ عليها صفة الفئة الناجية، مع مصادرة حق الآخر في امتلاك الحقيقة، لتحول بذلك النزعة المعرفية إلى نزعة استهوائية، تفضي إلى الثقة بالنفس وتعزيز هوية الأنا بما يضمن تلاحمها وانسجامها في مقابل الآخر الذي يشكل تهديدا وجوديا للأنا" [22].

إذن فالمعادلة الجدلية بين الأنا والآخر، قد تحكمها الصور التي تبنى لدى كل منهما والتي تشكلت عبر السيرورة التاريخية وفترات زمنية مختلفة متغيرة، وضرورة الاختلاف طبيعية في الكينونة البشرية والإنسانية ولا مناص من نفي أو إخفاء هذا الاختلاف، لكن تجليات الإشكال تتضح في التفسير والفهم لدى كل من النحن والآخر، ووضع الحواجز التي قد تزيد الطين بلة وبالتالي اختزال الحقيقة لدى كل منهما.

إذ يقول بن غنيسة " إن التذرع باستقصاء الحقيقة لا يعدو أن يكون إستراتجية استهوائية، تلجأ إليها الذات لتحقق الحد الأدنى من الانسجام للأنا، من خلال ما ندعوه بالصورة الثقافية

[21] محمد شوقي الزين. الذات والآخر. تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع. ط1. الرباط. دار الأمان. 2012 . ص 57.

[22] نصر الدين بن غنيسة. في المثاقفة والنسبية الثقافية قراءات سميائية.ط1. الرباط: دار الأمان.2016.ص 105.

النمطية والتي هي مجموع من الصفات التي تنسبها مجموعة من الأفراد نحو الأنا في جدلية أبدية مع الآخر" [23] .

وما يراد الإشارة إليه أن بن غنيسة، يشير إلى إستراتجية الهوية التي تحاول من خلالها الأنا إثبات ذاتها، والبحث عنها من خلال الصورة السلبية أو المنمطة التي تبنيها وهذا لإثبات ذاتها واستقصاء الحقيقة عن الآخر.

إن الحوار والمشروع الإنساني يبقى طرحا قائما، ما دام خطاب التواصل يطرح في المقاربات الغربية والعربية التي تسعى لإرساء الحوار وتكريس قيم الإنسانية، بغض النظر عن الخصوصيات الثقافية وجدلية المحلي والعالمي، ومحاولة بناء عقل إنساني وفكر بعيد عن الجدل العقيم الذي تظهره بلاغة المرآة بين النحن والآخر.

ويظهر ذلك في نظرية الفعل التواصلي لهبرماس، الذي يحاول فيها إظهار الأدوار المتبادلة بين النحن والآخر كما أن نظرية التواصل عنده حسب مهيبل تعني فيما تعني صياغة مبدأ التواصل وبلورة القوانين التي تتحكم فيه. هذا التواصل عبارة عن علاقة حوارية بين فئات المجتمع، المتعددة والمتباينة إيديولوجيا وطبقيا علاقة تتوخى بناء وعي حر لا تحكمه المؤسسات أو الإيديولوجيات المفروضة من قبل الأنظمة السياسية، علاقة تغوص إلى داخل مؤسسات المجتمع الغربي لتزيح عنها غلاف الزيف والتزييف وبالمحصلة علاقة تجعل من العقل والاستنارة ملجأها الأول و الأخير" [24].

إن هابرماز يركز على الفعل التواصلي، الذي يتجاوز المد والجزر بين النحن والآخر، من خلال فتح علاقة حوارية تنسف بالوعي السياسي المؤدلج والذي تحكمه المؤسسات المسيطرة، وتتعمق إلى الداخل عن طريق النقد والعقل، لتفادي الزيف وبهذا فهو يخالف الطرح الذي يقدمه بيار بورديو حول الهيمنة عن طريق وسائل الإعلام التي تدعمها المؤسسات التي

[23] نصر الدين بن غنيسة. في المثاقفة والنسبية الثقافية قراءات سميائية. ص 105.

[24] عمر مهيبل. من النسق إلى الذات . ط1. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون. 2007.ص ص 151،152.

تمارس العنف الرمزي وتملك السلطة ويقول في هذا الصدد" إن من يملك السلطة هو القادر على تعريفه لنفسه ولغيره". [25]

إن إمكانية الحوار قد تتعلق بمدى تقبل النقد والتأويل، وتجاوز الإيديولوجيات بعيدا عن الاختزال الذي يقصي الآخر وينبغي كما يرى محمد أركون " تدمير الصور السلبية التي يتبادلها الطرفان وتصحيح الأحكام والتصورات المسبقة ليس الغرب هذا الطاغية المادي و اللاأخلاقي والإلحادي وليس الإسلام هذه الايدولوجيا الأصولية التي تثير المخاوف و الرهبات ". [26]

و ما قدمه أركون هو مشروع حضاري يعني أن الاختلاف ليس هو الصراع والتناحر، وما يمنح ذلك هو تدمير الصورة السلبية والتخلي عن الأحكام المسبقة، التي تجعل الأنا والآخر في تواصل وتفاعل دون أن تمنح لكل منهما الحق إذ نستشف ذلك في المقاربات التي تقدم بها هانس غادمير، هابرماس والخطابي وعلي حرب ويرى شوقي الزين أن البعد العالمي للفكر التأويلي يجعل من ابن رشد وغادمير فضاءين مختلفين على صعيد الفكر ومتوافقين في الصيغة، بحيث يرى كل واحد منهما أن الحوار والتفاهم كقيم وأخلاقيات هو دليل الهيرومينوطقيا كحقيقة وطريقة، أو معيار وحيد في الحديث عن الحوار والتواصل، عندما نتحدث عن الحوار في بعده التأويلي والتواصلي، فإننا نشير إلى نمط الوجود وأخلاقية التواصل وليس إلى نمط المعرفة أو استراتيجية المعرفة ويقول أن الحوار الذي يفترض مسبقا أن الأنا على حق والآخر على باطل، لا يستحق إطلاقا اسم حوار. فهو يستدعي التبادل و النقد والمراجعة، كما أنه يقتضي البيان والبرهان لإيضاح النوايا وتفسير المقاصد. [27]

في الأخير يمكن لنا القول أن فكرة التواصل الإنساني وفتح مجال الحوار بين الأنا و النحن، يعيدنا إلى النظر والقراءة في إمكانية تطبيق ذلك على الواقع، فما نلاحظه اليوم من ممارسات وتزايد الهوة بين الشرق والغرب، قد يجرنا إلى أن العولمة قد خلقت العديد من الأزمات على

[25] عبد الغني عماد. سوسيولوجيا الهوية جدلية الوعي والتفكك وإعادة البناء. مرجع سابق.ص 26 .

[26] محمد شوقي الزين. الذات والآخر تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع. مرجع سابق. ص 65

[27] محمد شوقي الزين. الذات والآخر تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع. مرجع سابق. ص ص 61،62

مستوى الهويات، لكن يبقى التغيير أمر قد نعيد التفكير فيه إذا تجاوز ذلك الخطاب الهوياتي المادح، وهذا لا يعني أن تتخلى الهوية عن الجوهر الذي شكلها وإنما تقبل بعض التغيرات الذي يحافظ بتوازن العلاقة بينها وبين الآخر.

فالإعلام الجديد الذي فرضته العولمة؛ هو حقيقة لا يمكن لأي منا أن ينفيها والتأثيرات التي يمارسها على مستوى الهوية، عن طريق صناعة الزيف بأجهزته ومؤسساته الإستراتيجية وتسويق للنمطية وتكوين المجتمعات الاستهلاكية، لم يكن وحده في هذا التأثير وإنما تتداخل فيه عدة عوامل سياسية وتاريخية واجتماعية وثقافية، تكونت عبر تراكمات تداخل فيها اختلاط في المفاهيم لدى كل من الأنا والآخر، والتبست فيها الحقيقة و تشوشت عبر تراكمات الأحكام عن الغيرية، والذي لازال قيد البحث ويحتاج إلى إعادة التفكير في علاقة هويتنا بذاتها، دون الانزواء بعيدا عن قطار الحداثة الذي يجعلنا نتخبط في دائرة التخلف الذي قد يبعدنا ويبقينا خارج الزمن والتاريخ، إن هذه الرؤية لا تتأتى عبثا وإنما بمحاولة جادة للتغيير عن طريق التفاعل بعقلانية، وهذا يعيدنا إلى قول محمد أركون" من لا يبدع حاضره بإرادة فاعلة وقوة خلاقة يظل في موقع المنفعل والمتلقي". [28]

خاتمة:

إن الإعلام الجديد له دورا بارزا في التأثير على الهويات والقوميات المجتمعية، وذلك لما يخلقه من فضاءات ومجالات مفتوحة، للتحاور بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين من مختلف الشعوب والجنسيات، وذلك بالرغم من الفروق والتباينات السوسيوثقافية والاقتصادية والسياسية والدينية، بين هذه الشعوب الأمر الذي قد يسمح بتعدد الهويات وميلادها بشكل جديد، وهذا يعيدنا إلى إعادة النظر في بناءها وتشكلها في ظل وسائل الإعلام الجديد، فهو يعد مجالا خصبا ومعرفيا لتبادل الرؤى والأفكار، و هذه الرؤية لا تتأتى إلا بفتح باب الحوار والتواصل مع الآخر بغض النظر عن الخصوصيات والاختلافات الايديولوجية ، و تجاوز الصورة

[28] المرجع نفسه . ص 18.

السلبية التي تحملها الذات عن الآخر في مخيلتها، و التخلي عن الأحكام المسبقة التي ترسمها الأنا في تمثلها للغير .

قائمة المصادر و المراجع

1.إسماعيل،إبراهيم، **الإعلام المعاصر وسائله ومهاراته وتأثيراته أخلاقيته**، ط1، قطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2014.

2.ادواردز، تيم، **النظرية الثقافية وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة** : ترجمة محمود أحمد عبد الله ، ط1، القاهرة : المركز القومي للترجمة،2012.

3.السوتاري، برتي، **النظرية الاجتماعية والواقع الإنساني**، ترجمة علي فرغلي، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة،2015.

4. المحيفظ، وآخرون،**هوية الإنسان الحديث والمعاصر عند شارلز تايلور**، في كتاب، ربوح، البشير،**السؤال عن الهوية في التأسيس والنقد والمستقبل**، ط1، الرباط : دار الأمان،2016. 91-111 .

5.الشمايلية، ماهر عودة، اللحام، محمود عزت، **الإعلام الرقمي الجديد**، ط1 ، الأردن: دار الأغصان. العلمي.2015.

6.الزين، محمد شوقي، **الذات والآخر تأملات في العقل والسياسة والواقع**،ط1،الرباط، دار الأمان،2012.

7.المنصور، محمد،**تأثير شبكات التواصل الإجتماعي على جمهور المتلقين دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع العربية أنموذجا**، قسم الإعلام والاتصال، كلية الآداب والتربية، الأكاديمية العربية : الدانمرك ، 2012.

8. بن تمسك وآخرون، **في التأصيل المفهومي للهوية** في كتاب، ربوح، البشير ،**السؤال عن الهوية في التأسيس والنقد والمستقبل** ، ط1، الرباط : دار الأمان،2016. 25- 90.

9. بن غنيسة، نصر الدين، **في المثاقفة النسبية الثقافية قراءات سيميائية**، ط1، الرباط : دار الأمان، 2016.

10. باومان زيغمونت.الثقافة السائلة. ترجمة: حجاج أبو جبر.ط1.بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.2018 .

11. دوبار كلود. أزمة الهويات تفسير تحول.ترجمة: رندة بعث.ط1.لبنان:المكتبة الشرقية.2008. ص23

12.هايدغر، مارتن، ***الفلسفة والهوية والذات***، ترجمة: محمد مزيان ، ط1 ، الرباط: دار الأمان،2015.

13. كابان، فليب، دورتيه جان فرانسوا،**علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات**، ترجمة: إياس حسن ، ط1 ، دمشق: دار الفرقد،2010.

13.كوش، دنيس،**مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، ترجمة: قاسم المقداد، دمشق: اتحاد الكتاب العرب،2002.

14. موسى، عبد الله، **فلسفة القيم الأصول و الامتدادات،** ط1، الرباط: دار الأمان، 2018.

15. مهيبل، عمر، **من النسق إلى الذات،** بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2007.

16.عماد ، عبد الغني، سوسيولوجيا الهوية جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، ط1،بيروت: مركز الوحدة العربية.

17. شقرة، علي خليل، **الإعلام الجديد وشبكات التواصل الاجتماعي،** ط1 ، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع،2014.